

فجأة تكتشف المرأة أنها تستند إلى وهم، وليس إلى ظل رجل كما تقول الأمثال.. أعوام طويلة تقضيها مع النصف الآخر من إنسانيتها في ظل العطاء والتضحية وتحمل الكثير من الصعوبات المادية والنفسية ولكنها تكتشف أنها تنتظر وهماً، وتأمل بسراب..

تكابر، بلا شكوى، من أجل بيتها وأطفالها، وتعمل الكثير من أجل أن يمضي المركب بأمان، لكن الأنانية والذكورية المستفحلة في التورم تأتي إلا أن تعرقل ذلك المركب..

ليس من حصانة لها، عند بعض الرجال، مهما قدمت من تضحيات.. المرأة التي لا تكتمل الحياة إلا بوجودها تعيش جزءاً كبيراً من حياتها وهي تناضل في سبيل مواجهة حالات الإلغاء التي يمارسها الرجل عليها من موقعه الذكوري والاجتماعي.. يختلق، في سياق دور السيطرة الذي يمارسه على المرأة، أشكالاً عديدة من الصراعات والمشكلات، غير عابىء بالنتائج التي تترتب جراء ذلك على الحياة الاجتماعية والنفسية للمرأة، متجاهلاً الأثر السلبي لأفعاله تلك على أسرته حاضراً ومستقبلاً.. في الوقت الذي يعلم فيه، بقرارة نفسه، أن المرأة، شريكه في الحياة، قادرة على العطاء، وربما أكثر منه أحياناً.. لكنها العقد الشخصية الذكورية، هي التي تجعل من المشاركة الحياتية عقوبة بالنسبة للمرأة..

لنتأمل قليلاً في الحياة، ولننظر بعمق لدور المرأة وقدراتها.. لقد أثبت العلم أن المرأة تملك القدرة على القيام بالكثير من الأعمال، جنباً إلى جنب مع الرجل.. وربما هناك أعمال تتفوق فيها عليه.. وهذا هو التاريخ بين أيدينا، يذكرنا بنساء قويات، حكيومات، ذوات عقل راجح وإبداع خلاق في مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية..

هل نذكركم بأسماء الكثير من النساء اللواتي خلّدت صفحات التاريخ أسماءهن بناصع الفعل والانجاز والعطاء..؟

لننظر من حولنا، ولنأمل صور الواقع الاجتماعي فماذا نجد؟ في المجتمعات التي يتم فيها تجاهل دور المرأة وإمكاناتها، ووضعها في الصفوف الخلفية مجرد تابع ومشاهد صامت، مفضّلة إذا نطقت أن تنطق بمديح الرجل، نقول: إنه في مثل تلك المجتمعات ينتشر التخلف والمعاناة بشكل واسع. ومن المعروف أن المرأة أقدر من الرجل على تحمل ظروف الحياة والصبر على المعاناة، والمكابدة بصمت، إذا آمنت بالرجل أو بالعمل الذي تقوم به.. وانظروا من حولكم لتتأكدوا من قدرة المرأة على مصارعة الحياة، حتى لو كانت وحيدة، في سبيل أبنائها ونجاحهم ذكوراً كانوا أم فتيات..

إن المرأة كائن إنساني، تتمتع بكل الصفات الإنسانية، التي تشارك الرجل في امتلاكها..

«الإنسانية».. تلك هي الصفة التي تجمع بين الرجل والمرأة قبل أن تفرقهما الأعراف والتقاليد البالية، أو الذكورية الواهمة.. فهل ننسى؟..

على ضفاف الوهم.. فاديا جبريل